

الفنون العباسية

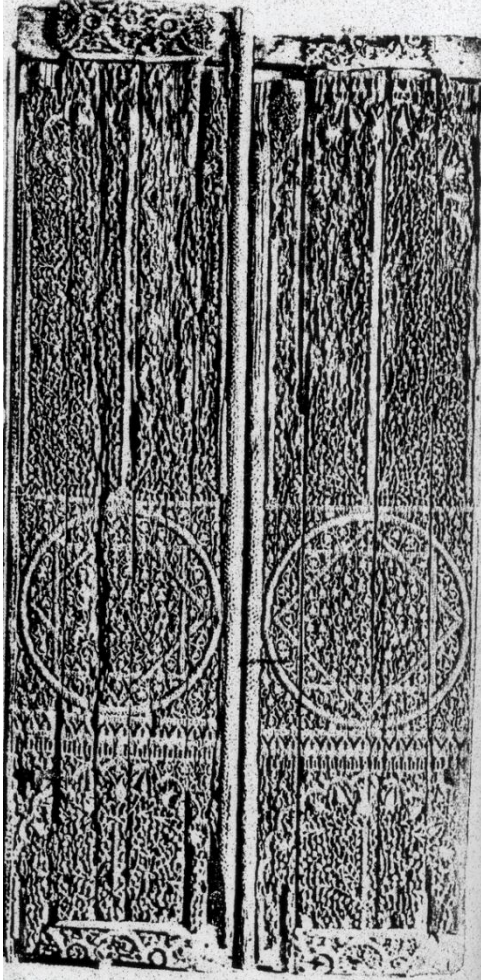
د منى عثمان الغُبّاشي

الفرقة الثانية شعبة الآثار الإسلامية قسم الآثار

فن صناعة وزخرفة الأخشاب

لاشك أن التُحف الخشبية التي وصلتنا قليلة وذلك لقابلية الخشب للفناء السريع وخاصة بسبب الحريف والسرقة لاسيما في إيران والعراق الذين تعرضا لجحافل المغول واكتساحهم لهما، بالإضافة إلى التلف من العوامل الطبيعية مثل الرطوبة، بالإضافة إلى أن بعض الأقطار الإسلامية تفتقر إلى الخشب مما تضطر إلى أن تستورده من الأقطار الغنية بأشجارها التي تستخرج منها الأخشاب الجيدة. وكان هذا الفقر أحياناً السبب في انتزاع بعض التُحف الخشبية من أماكنها الأصلية وإعادة استعمالها في أماكن وأغراض أخرى في أزمنة وعصور متتالية.

واستخدم في زخرفة الأخشاب طرق الحفر العميق، والتلوين، والتطعيم بالعاج والأبنوس (Inlaying). وتتمثل هذه التُحف المنابر، مصاريع الأبواب والشبابيك والخزانات الحائطية (الكتيبات) والعوارض الرابطة بين العقود والأسقف والإزارات التي تركز عليها، بالإضافة صناديق المصاحب وكراسيها. ومن أمثلتها:



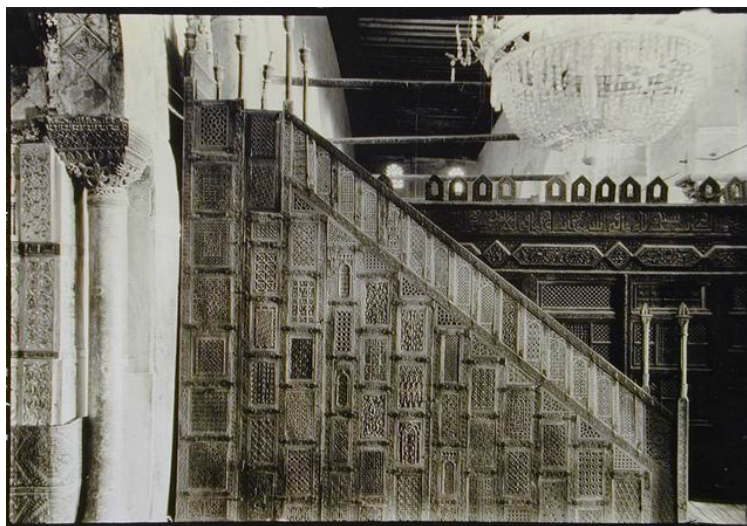
الباب الخشبي بمتحف بناكي بأثينا: وهو من التُحف الخشبية الأموية في أسلوبه وزخارفه إلا أنه يرجع إلى بداية العصر العباسي ونسب إلى العراق، وعثر عليه في تكريت بالعراق. ويتكون هذا الباب من مصراعين طولهما ٣×٢,١م وفي جانب كل من الباب قائم خشبي يسمى (أنف) وينقسم كل مصراع من المصراعين إلى ثلاثة أجزاء، ولقد نفذت الزخارف بالحفر البارز المتعدد المستويات.

الجزء السفلي: وهو مربع تقريباً وقوام زخرفية عقد مُفصص وفي محوره ساق وكأنه جزع شجرة ينتهي في أعلاه بالتوائين كالقرنين يحملان عنصراً زخرفياً بصلي الشكل، ويملاً العقد زخارف نباتية تتكون من فروع متعرجة تخرج منها وتملاً فصوص زخارف برعمية

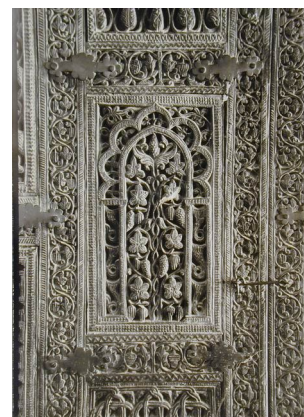
الشكل وبصلية، وتملأ الكوشات وتخرج من بعضها حلزونات في كل منها ورقة عنب خماسية الفصوص أو ثلاثية يعلوه شريط به صف من الشرافات المُسننة يفصل بينه وبين الجزء الذي يعلوه.

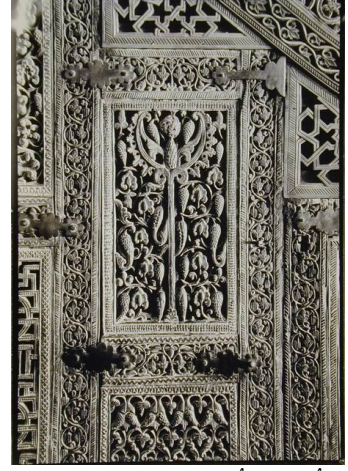
الجزء الأوسط: وهو مربع يتوسطه دائرة بداخلها شكل نجمي ثُماني الرؤوس ناتج من مُربعين متداخلين، شغلت كل هذه الأشكال بحلزونات بداخلها ورقة عنب خماسية أو ثلاثية الفصوص. والجزء العلوي: تشبه زخارفه القسم السفلي

منبر جامع القيروان: ومن أبداع التحف الخشبية التي ترجع إلى الطراز العباسي، وهو مصنوع من خشب الساج وتذكر المراجع التاريخية أنه صُنع في بغداد واستجلبه الأمير أبو إبراهيم أحمد بن الأغلب سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م لهذا المسجد. والواقع أن حشوات هذا المنبر تشبه باب بناكي وحشوات المنبر السابق ذكره، إلا أن زخارف المنبر تمثل مرحلة متطورة من ناحية أسلوب الحفر والزخارف.



ويتكون المنبر من ريشتين وصدر، ويشتمل كل منهما على حشوات خشبية نفذت عليها الزخارف النباتية والهندسية بالتفريغ، فنجد حشوات عليها زخرفة على شكل طبق نجمي على جانبيه مراوح نخيلية تشبه الأجنحة المحورة، وأخرى مُزخرفة بعقد مُفصص يرتكز على عمودين مُفصصين وشغلت جوف الحنية بتفريعات حلزونية يتفرع منها أوراق عنب خماسية الفصوص وأنصاف مراوح نخيلية وكيزان صنوبر.

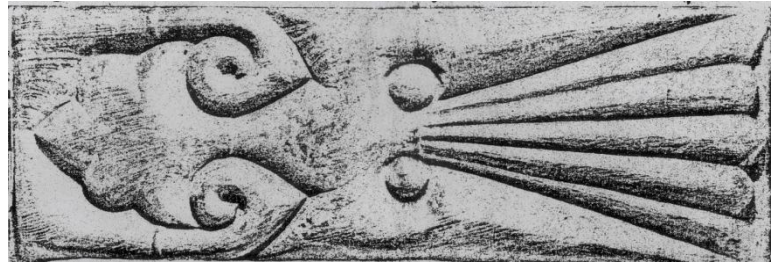




وأُخرى مُزخرفة بزخارف نباتية على هيئة تقريعات حلزونية ينبثق منها أنصاف مراوح نخيلية وأوراق عنب ثلاثية وكيزان صنوبر ولما أن يتوسط الحُشوة كوز صنوبر ينتهي في أعلاه بروج من القرون يعلوهما عنصرين مجنحين، أو ينتهي في أعلاه بعنصر الرمان محصور بين نصفي مروحة نخيلية، أو حُشوة مُحددة بإطار مُزخرف بتقريعات حلزونية تحصر بداخلها أوراق وعناقيد العنب، وزُخرف وسط الحُشوة بحنية معقودة شغل جوفها بتقريعات حلزونية تحصر بداخلها أوراق عنب خُماسية الفصوص ويعلو الحنية شريط أفقي به شرافات مُسننة كما نجد بعض الحُشوات يتوسطها زخرفة نباتية على هيئة شجرة الحياة تنتهي بزوج من القرون يعلوهما كيزان الصنوبر على جانبيه أنصاف مراوح نخيلية .

وانتشر طراز سامراء الثالث في زخرفة الخشب العباسي، وخاصة أنه كان يستعمله في عمل أصل أو نموذج إيجابي ليستخرج منه القوالب السالبة في إعداد الزخارف الجصية.

حشوة خشبية بزخارف بطراز
سامراء



التُحف الخشبية بمصر:

تميزت في مصر بتطوير الطراز الأموي الذي اختلف سيره في مصر عنه في الشام، إذ كانت خطوات التحوير في الأساليب الهلنستية والمسيحية في مصر أسرع كثيراً منها في الشام فعلى الرغم من الاحتفاظ بالعناصر بتفاصيلها وأشكالها وتخطيطها الخارجي إلا أن أسلوب الحفر والذوق العام أخذاً يبعدان عن التقاليد القديمة ويتجهان إلى طابع محلي وخاصةً منذ نهاية القرن ٨/هـ ثم وفدت أساليب سامراء وانتشرت في مصر انتشاراً واسعاً من الربع الأخير في القرن ٩/هـ.

وأستخدم في زخرفتها نفس الطرق السائدة في العالم الإسلامي من الحفر والتطعيم والتلوين وأشرطة الجلد وذلك على النحو التالي:

١ - **التطعيم:** عرفت مصر زخرفة الخشب منذ العصر الأموي بالتطعيم بقطع تتفاوت أحجامها وأشكالها من سن الفيل والعظام والعاج وأنواع الخشب الأكثر قيمة وكان التطعيم يتم بطريقتين :-

الطريقة الأولى : وتُسمى بالتطعيم المزيف أو الترصيع وهي تشبه أسلوب صناعة الفسيفساء الزجاجية والخزفية بأن تُلصق القطع الصغيرة بجانب بعضها على سطح الخشب لتألف الشكل الزخرفي وأحياناً تُلصق القطع وترتب بالترتيب الزخرفي المطلوب ويترك بينهما فراغاً يملأ بالمعجون الملون باللون المراد.

الطريقة الثانية: وهي طريقة التطعيم الحقيقية وفيها يحفر على سطح الخشب الأشكال الزخرفية المطلوبة ثم يلبس في هذه الحفر قطع من سن الفيل والعظم أو العاج أو حتى نوع من الخشب الجيد بلون آخر وأكثر قيمة.

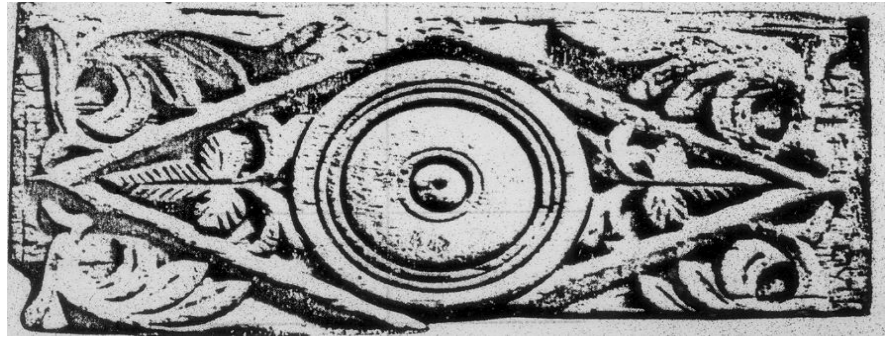
٢ - **التلوين:** عرفت مصر زخرفة الأخشاب بالتلوين حيث يحتفظ متحف الفن الإسلامي بمجموعة من هذه الأخشاب أحداها لوح مرسوم عليه شريط بالألوان من وحدة زخرفية مكررة وهي السمكة في أوضاع متماثلة في تقابل وتدابر وعنصر السمك هو تأثير قبطي، وأخرى زخرفها أشكال هندسية عبارة عن مربعات تحصر بداخلها دوائر مُزخرفة إما بشكل طائر أو سمكة ويتضح بها أيضاً التأثير القبطي وتنسب هاتان القطعتان الخشبيتان إلى القرن ٧/هـ.

٣ - **زخرفة الأخشاب بأشرطة من الجلد :** يحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بمجموعة ألواح وأشرطة خشبية عليها زخارف دقيقة من الجلد مثبتة بمسامير أو ملصقة على سطوحها. وتتألف

زخارفها من أشكال نباتية محورة وزخارف هندسية تشبه زخارف الأخشاب المحفورة بالطراز العباسي والزخارف الجصية بطراز سامراء الثالث. وتتمثل النماذج فيما يلي:



لوحة خشبية تُؤرخ بالقرن ٨/هـ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة وتتألف زخارفها من رسم لأسدين متواجهين مرسومين في تماثل وعلى رقبة كل منهما خلف رأسه لبد كثيف ، ولولا هذا اللبد لكان من الصعب الاستدلال على نوعهما فأسلوبهما ضعيف إلى حد واضح، وبالأرضية أسفلهما وخلفهما فرع نباتي متموج تخرج منه أوراق أكانتس مبسطة.



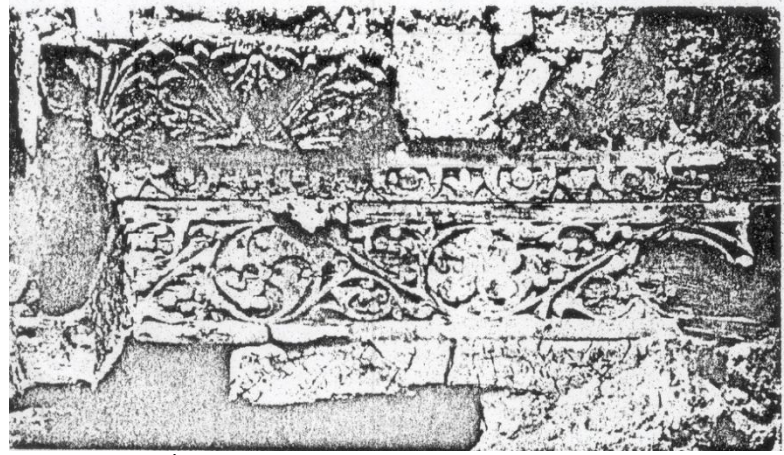
لوحة خشبية تُؤرخ بالقرن ٨/هـ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة وهي قطعة خشبية قوام زخرفتها شكل مُعين يتوسطه قرص مستدير، وشغلت المناطق المحصورة بين المُستطيل والمُعين والدائرة بعناصر نباتية من أنصاف المراوح النخيلية في حفرها تجسيم وأوراق عنب ثلاثية في فصوصها تعرق نخيلي.



قطعة خشبية تتألف زخرفتها من تفريعات حلزونية متماوجة نتج عنها مناطق بيزاوية متكررة ، وبداخل كل منطقة وحدة زخرفية من ورق عنب ثلاثية الفصوص بها تعرق نخيلي وكوزين

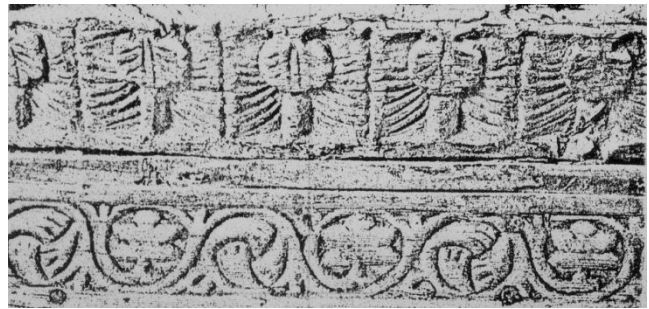
صنوبر وورقتين ملتويتين ، ووضع كل زوج من هذه العناصر في تماثل تام وبذلك فهي تتشابه مع نظيرتها العراقية لذا تنسب هذه التحف إلى أواخر القرن ٨/هـ وأوائل القرن ٩/هـ م.

- ويحتفظ جامع عمرو بن العاص بالفسطاط بمجموعة من الأخشاب تنسب إلى أعمال عبد الله بن ظاهر سنة ٢١٢هـ من العصر العباسي وهي مثبتة على الجدران من الداخل وتعلو تيجان الأعمدة التي لا تزال بقايا منها موجودة في الركن الغربي لظلة القبلة.

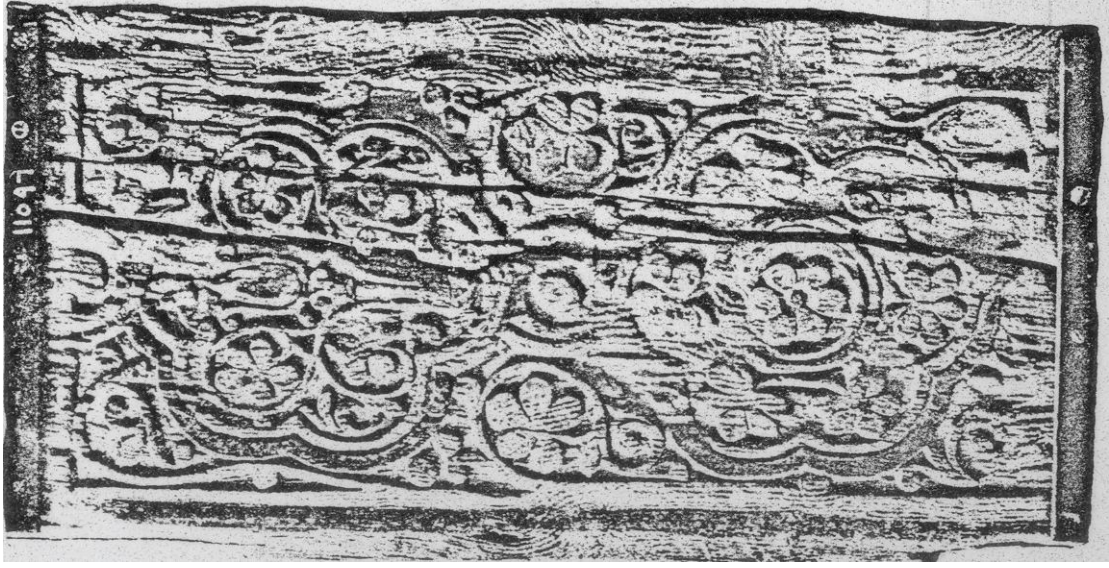


فتشتمل زخرفة الأفاريز الخشبية على ثلاثة أقسام العلوي عبارة عن صف من أوراق الأكانتس مصفوفة بجانب بعضها يتضح فيها تطور واضح وميل إلى التبسيط والبعد عن أصولها الهلنستية، أما القسم الثاني الأوسط فهو عبارة عن شريط كبير حفر بزخارف لعلها تمثل الحلية الكلاسيكية البيضة والسهم (Egg and Dart) ولكنها محورة، وزُخرف القسم السفلي وهو شريط رفيع بفرع نباتي متموج يخرج منه أوراق ثلاثية الفصوص وأنصاف وريقات نحيلية وأوراق عنب خُصاسية الفصوص.

وتُزخرف الوسادات التي تعلو تيجان الأعمدة الثلاثة بجانب الجدار الجنوبي الغربي لظلة القبلة بالجامع فتحتوي على شريطين، العلوي تتكرر فيه



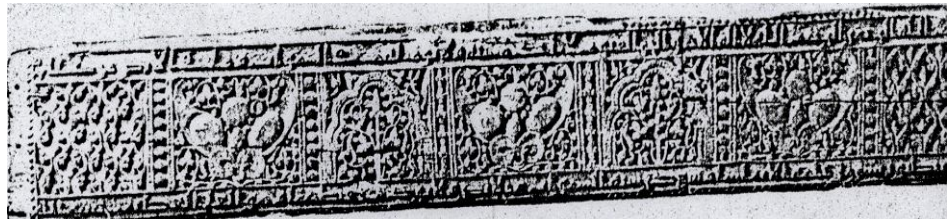
زخرفة من ساق غليظة فوقها كتلة كروية وعلى جانبيها ضلوع من أوراق الأكانتس المحورة أما الشريط السفلي فيزخرفه وحدتين زخرفيتين متكررتين بالتبادل هما ورقة عنب خُصاسية وثلاث وريقات أنصاف مرواح نحيلية متلاصقة في حركة دائرية.



- مجموعة تحف خشبية بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة تتفق إلى حد كبير مع أسلوب قطع جامع عمرو بن العاص من القرن ٣هـ/٩ م .



لوح خشبي مؤرخ بسنة ٢٨٧ / ٩٠٠ م من قسمين



- كما يحتفظ متحف الفن الإسلامي بمجموعة من التُحف الخشبية تعود إلى نفس الفترة (٢-٣هـ/٩-٨م) تميزت بالزخارف الهندسية والنباتية التي يغلب على زخارفها الدوائر في المركز الواحد ورسوم العقود المتشابكة والمفصصة والشرافات المُسننة بالطابع الساساني بالإضافة إلى الوريقات النباتية الثلاثية والأوراق المجمعَة والكتابات الكوفية.

التُحف الخشبية الطولونونية:

تأثر التطور الفني في الحفر على الخشب في مصر في النصف الثاني من القرن ٩/هـ٣م بقدم أحمد ابن طولون من قبل الخلافة العباسية وتأسيسه الدولة الطولونية حيث نقل معه طرز سامرا التي انتشرت في العراق في العصر العباسي ، ولم يصحن على زخرفة الخشب سوى طراز سامر الثالث الذي تميز بالحفر المشطوف المائل (Slant Cut) وربما يرجع ذلك إلى استعمال الخشب في إعداد النماذج الأصلية لعمل القوالب السلبية للتكسيات والزخارف الجصية فلمس الفنانون السهولة والسرعة الكبيرتين اللتين تتوفران في طريقة حفر ذلك الطراز .

وتُعتبر الكسوات الخشبية ببواطن أعتاب ثلاثة أبواب بجامع أحمد بن طولون من أقدم التُحف الخشبية الطولونية. ويحفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة وبعض المتاحف العالمية والمجموعات الأثرية المصرية والأجنبية بقطع من الخشب الطولوني مصدرها الجامع الطولوني والقصور والأبنية الطولونية .



باب خشبي من العصر الطولوني

ومن أهم مميزات زخارف الأخشاب الطولونية هي :-

١- أنها نفذت بالخفر المائل أو المشطوف ، وتظهر فيها الصناعة الطولونية التي تخلق زخرفة من بضعة فروع وخطوط حلزونية تغطي الأرضية كلها.

٢- تطورت العناصر الزخرفية وخاصة النباتية إلى وحدات كبيرة تتم بعضها البعض بحيث لا تُترك أرضية، ونتج عن هذا التلاصق تصرف كبير في أشكال عناصر كثيرة منها لم يفقدها صلتها بأصولها في الفنون الهلنستية والساسانية ، وعندما تمكن الفنان من إتقان زخرفة هذه الوحدات صغرت وتنوعت بل وأحياناً ما شكلت نهاية الزخرفة على هيئة رأس طائر .



٣- أوراق كأسية وأنصاف مراوح نخيلية محورة عن الطبيعة وأوراق جناحية وقد ظهرت هذه العناصر بشكل زخرفي محور منبثق من تفريعات نباتية. ولقد أطلق الأوروبيون على هذا النوع من الزخرفة اسم أرابيسك وهذا يدل على أن بداية ظهور هذه الزخرفة الإسلامية كان في العصر العباسي سواء على الزخارف الجصية أو على التُحف الخشبية.



٤- زاد انتشار نصف الورقة المحورة على هيئة الكلوة في الحفر على الخشب في القرن ١١هـ/١١م وكانت من مظاهر التطور في أسلوب سامراء.



٥- تشتمل الزخرفة أحياناً على رسم طائرين متقابلين محورين عن الطبيعة (لوحة ١٤٩).

لم يكتف الفنانون في العصر الطولوني بالطرق السابقة في زخرفة الأخشاب بل برعوا في نحت التماثيل الخشبية وهذا ما استشف من خلال ما ذكره المقرئ من أن خمارية بن أحمد بن طولون قد جعل في بيت الذهب في القصر الطولوني في مدينة القطائع صوراً بارزةً من الخشب على مقدار قامة ونصف على صورته وصور حظاياها والفتيات اللاتي كن يغنين له وجعل على رؤوس هذه التماثيل أكاليل من الذهب الخالص المرصعة بأصناف الجواهر وجعل في أذانها الأقراط الثقالة والوزن ولونت أجسام هذه التماثيل بما يشبه الثياب.

أما التحف الخشبية ذات الكتابات الكوفية البسيطة ويعد أقدمها بالإزار الخشبي أسفل سقف جامع أحمد بن طولون نُقش عليه كتابات بالخط الكوفي البارز آيات من القرآن الكريم وقد نُقشت هذه الكتابات بدون أي عناصر زخرفية فهي نموذج مما كان عليه الخط الكوفي قبل تطوره .

كما استخدمت التحف الخشبية ذات الكتابات الكوفية البسيطة كوثائق إثبات ملكية ، فكان يُنقش عليها بالحفر البارز كتابات تسجل ما يملكه الأفراد من دور وحوانيت ، كما تتضمن تلك الكتابات بعض العبارات القانونية التي كانت مألوفة في ذلك العصر وكانت هذه اللوحات الخشبية تثبت على واجهات الأبنية إشهاراً لملكيتها.

ومن أحسن أمثلة هذا النوع من التحف الخشبية لوح بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة فقد جزء من جانبه الأيسر ويشتمل على خمسة أسطر بالخط الكوفي البسيط



عزيزي الطالب يجب عليك الآتي:

- ١- شرح النماذج بالتفصيل مع مقارنتها بغيرها في باقي العالم الإسلامي
- ٢- إلقاء الضوء على الطرز الفنية والمعمارية من خلال التحف
- ٣- إلقاء الضوء على الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية من خلال هذه التحف
- ٤- البحث في كتابك ومواقع الانترنت عن مزيد من التحف